الشيخ خالد عبدالرحمن: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن هذا اللقاء هو آخر لقاء في هذه الزيارة لإخواني، اسأل الله أن يجمعنا وإياكم على طاعته وعلى الحق والسُّنة، وقد استشرت بعض مشايخنا في هذه الكلمة، فأشار عليَّ بعض إخواننا ومشايخنا بأن يكون موضوع هذه الكلمة ما قد أعلن عنه إخواننا جزاهم الله خيرًا، وإبتداءً أقول إن من نِعم الله –عز وجل– على العبد أن يوفقه لفهم كتابه ولتدبر آياته، وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه ومسلم –رحمهما الله– : ((أن رجلًا سأل عليًا –رضي الله عنه–: هل خصكم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بشيءٍ دون الناس؟ فقال: "لا والذي فلق الحب وبرء النسمة، إلا ما في جُعبة سيفي هذا)) ثم قال ((وإلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه))، فبين عليٌ –رضي الله عنه– أنَّ مما يخص الله به بعض عباده دون بعض أن يفضل بعضهم في فهم الكتاب على بعض، فيقول عَلي: ((ما خصنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بشيءٍ دون الناس إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه))، ففهم كتاب الله والعناية به والتدبر فيه مما ينبغي على طالب الحق، ولذلك بشَّر الله –عز وجل– المتدبر في كتابه فقال: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد : 24]، فبين الله –عز وجل– أن من تدبر في كتابه –تبارك وتعالى– فقد فتح الله قلبه، وأن من لم يتدبر كتاب الله –جل وعلا– فقد حُرِمَ من خير عظيم، وهذه السورة المباركة، وكل كتاب الله مبارك، هي سورة الأعلى، وهذه السورة هي من سور التوحيد التي فيها من دلائل التوحيد ومن عقائد الغيب التي اتفق عليها أهل السُّنة فيها من هذه العقائد والأصول الشيء الكثير، الذي يفهم من خلال هذه السورة المباركة مع الاستعانة بما جاء في السُّنة في البيان بذلك وما جاء منقولًا عن السلف في هذا، وهذه السورة في أولها أمر الله –عز وجل– ابتداءً لنبيه، ومستتبعًا بعد ذلك كل من بلغه الخطاب، كما قال –تعالى– مخبرًا عن نبيه: {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ} [الأنعام:19]، فيقول الله –عز وجل– في هذه السورة المباركة: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى : 1]، والتسبيح عند أهل العلم هو تنزيه الله عن كل نقص، ومن ذلك قوله –تبارك وتعالى–: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الصافات :180]، فدل ربنا في كتابه والقرآن يفسر بعضه بعضًا، ويرد بعضه إلى بعض، ويرد متشابهه إلى محكمه، ومجمله الى مبينه، فالله –

جل وعلا- يقول مبينًا معنى التسبيح {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الصافات : 180]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فسبح نفسه ونزه نفسه عن كل نقص ينسبه إليه المشركون"، ثم قال -تعالى-: {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} [الصافات : 181]، قال شيخ الإسلام: "وسلم على المرسلين الذين وصفوا ربه بما يستحقه من صفات الجلال والكمال"، وقال تعالى: {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الصافات : 182]، قال: "فختم الآية بحمده نفسه -تبارك وتعالى-"، وهذا معنى قولك سبحان الله، فحين تقول: سبحان الله، فمعنى ذلك أنك تنزه الله -جل وعلا- عن صفات النقص، وتثبت لله -جل وعلا- صفات الكمال والجلال، ولذلك فالقرآن أتى بالأمرين جميعًا، أتى بإثبات الكمال وبنفي النقص، كقوله -تعالى-: {وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ} [الأنعام :14]، فأثبت الكمال في قوله: {يُطْعِمُ} ونفى النقصان في قوله: {وَلَا يُطْعَمُ}، وقال أيضًا: {وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ} عليه} فأثبت الكمال في قوله: {يُجِيرُ} ونفى النقص في قوله : {وَلَا يُجَارُ عليه} قال أيضًا: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة:255]، فأثبت الكمال، كمال حياته وكمال قيوميته، وأتبع وعطف نفس النقص، قال: {لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ}، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالقرآن داير على هذين الأصليين، الأصل الأول اثبات صفات الكمال والأصل الثاني نفي صفات النقص، ولا يتم التسليم التام ولا يتم توحيد العبد إلا بتحقيق هذين الأصلين، بإثبات الكمال ونفي النقص عن الله -جل وعلا-"، وقد جاء في صحيح مسلم أن الله -تعالى- يقول يوم القيامة لعبده: ((مرضت فلم تعدني، فيقول العبد: وكيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول الله -جل وعلا-: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده)) وقال: ((استطعمتُك فلم تُطعمْني . قال : يا ربِّ ! وكيف أُطعِمُك ؟ وأنت ربُّ العالمين . قال : أما علمتَ أنَّه استطعمك عبدي فلانٌ فلم تُطعِمْه ؟ أما علمتَ أنَّك لو أطعمتَه لوجدتَ ذلك عندي ؟ يا بنَ آدمَ ! استسقيتُك فلم تَسقِني . قال : يا ربِّ ! كيف أسقِيك ؟ وأنت ربُّ العالمين . قال : استسقاك عبدي فلانٌ فلم تَسقِه . أما إنَّك لو سقَيْتَه وجدت ذلك عندي))، فهذا الحديث فيه البيان، كيف أنه تنزه -سبحانه وتعالى- عن كل نقص، فهو لا يسقى ولا يطعم ولا يمرض، إذ هذه صفات نقص، وإنما ربنا متصف -جل وعلا- بكل صفات الكمال، وهذا أصلٌ على العبد أن يعتني به، ويعلم عظمة ربه -جل وعلا- ومن ذلك ما جاء عند البخاري ومسلم حين وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- الدجال فقال: ((وإنَّهُ أعورُ عينِ اليمنَى، وإنَّ ربَّكم ليسَ بأعورَ))، فجعل النبي -عليه الصلاة والسلام- البينة والبرهان على بطلان إلوهية الدجال بوجود النقص فيه، بأنه أعور، ثم نفى النقص عن الرب -جل وعلا-، والله -جل وعلا- حين يثبت توحيده ويبطل المعبودات

الباطلة، فإنه ينسب النقص لتلك المعبودات ليستدل السامع بهذا النقص على انها لا تستحق العبادة، كما تقدم معنا في حديث الصحيحين ((وإنَّ ربَّكُم ليس بأعورَ))، وكما قال –تعالى- مكذبًا دعوى النصارى في عبادتهم لنبي الله عيسى فقال –تعالى-: {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ} [المائدة:٧٥] فجملة {يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ}، فيها الدلالة والبرهان على أن نبي الله عيسى –عليه الصلاة والسلام- وأمه الصديقة مريم ليس ممن يستحقان العبادة، لظهور العجز والنقص فيهما بما ركِّب في خلقة ابن آدم {كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ}، فانظر وتأمل إلى هذا الأصل العظيم الذي بني عليه الدين، إثبات صفات الكمال للرب –جل وعلا- ونفي صفات النقصان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كل كمال اتصف به العبد لا نقص فيه من وجه فالله أولى بهذا الكمال"، وهذا كله من قوله –تبارك وتعالى- آمرًا نبيه بتسبيحه: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى:1]، وقد ثبت عند أبي داود عن النبي –عليه الصلاة والسلام- بتصحيح الألباني له للحديث أنَّ النَّبيَّ –صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- ((كان يقولُ في ركوعِه: سُبحانَ ربِّي العظيمِ وبحمده ثلاثًا وفي سجودِه سبحانَ ربِّي الأعلَى وبحمده ثلاثًا))، فعمل النبي –عليه الصلاة والسلام- بهذه الآية في بعض صورها، وأنه عند السجود كان يقول: ((سبحان ربي الأعلى))، وها هنا مناسبة عظيمة أن السجود ينافي العلو، فإن العبد إذا سجد يصير أسفل، وإذا ارتفع فإنه يعلو، وهذا فيه معنى عظيم وهو أن الله –جل وعلا- المتصف بالعلو، بعلو القدر، وبعلو ذاته على خلقه، كما قال –تبارك وتعالى-: {يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ} [النحل: ٥٠]، فهذا علوو الذات، فما من مخلوق إلا والله –عز وجل- فوقه، قال تعالى: {يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [النحل- ٥٠] وقال الله –عزوجل-: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه:٥] فهذا علو ذاته –عزوجل- وعلو قدره، ومنه قوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمر-٦٧] وقد جاء في الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود –رضي الله عنه- قال: ((كنا جلوسًا مع النبي –صلى الله عليه وسلم-، فجاء حَبر من أحبار اليهود، فقال: يامحمد إنا نجد عندنا في التوراة أن الله يضع السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر والدواب على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: "أنا الملك"، قال ابن مسعود –رضي الله عنه- فضحك النبي –صلى الله عليه وسلم- تصديقًا لقول الحبَر ثم قرأ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}))، قال أهل العلم فعلو الله –جلا وعلا- هو علو الذات، وعلو القدر، فالله –جل وعلا- فوق خلقه مستوٍ على عرشه لا كما يقول الجهال بإن الله في كل مكان، هذا

اعتقاد أهل الضلال قديمًا وحديثًا ولذاك لما سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- الجارية كما في صحيح مسلم ((أين الله؟ قالت: في السماء، فقال: -عليه الصلاة والسلام- اعتقها فإنها مؤمنة))، قال الشافعي -رحمه الله-: استدل على إيمانها لما عرفت بإن ربها في السماء، فكل هذا المعنى يدخل في قوله -تعالى-: {الْأَعْلَى} علو القدر وعلو الذات -سبحانه وتعالى-، وقد وصف الله -جل وعلا- نفسه بالأعلى اسمًا وصفةً وكذلك وصف نفسه بالعلي اسمًا وصفةً، وهما متقاربان في المعنى، وأسماء الله -تبارك وتعالى- ينبغي كما قال –تعالى- {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا}[الأعراف: ١٨٠]، فينبغي أن يدعى الله -جل وعلا- بأسمائه وصفاته، وأن يدعا بأفعاله كما في صحيح البُخاري أنَّ النبيَّ - صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كان في دعائه أو دعا فقال: ((اللَّهُمَّ مُنزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، مُجْرِيَ السَّحَابِ)) فهذا دُعاءٌ بأفعال الربِّ –جلَّ وعلا- وكذلك الدُّعاء بأسمائه، كما ثبت وقد صححه جماعة كالحافظ ابن حجر والإمام الألباني ((أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَمِعَ رَجُلًا، يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ تَلِدْ وَلَمْ تُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ". قَالَ: "لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ"))، فحين يمرُّ بك اسمٌ من أسماء الله –جلَّ وعلا- فتفطن أنَّه ينبغي أن تدعو الله –جلَّ وعلا- بأسمائِهِ وصفاتِهِ الحُسنى, كما قال –تعالى-: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[الأعراف: ١٨٠]، هذا مما يُستفادُ من هذه الآية المُباركة في قوله- تعالى-: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى:1]، ثُمَّ وصف جميل فِعالِهِ –تبارك وتعالى- وعدَّد بعض أفعالِهِ وما أمْتَنَّ به على عِبادِهِ فقال -تعالى-: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ} [الأعلى:2-3]، فذكر ربُّنا –عزَّ وجلَّ- نِعمَتَهُ على عِباده أنَّه {خَلَقَ فَسَوَّىٰ}؛ أي أكمل وأتمَّ وعدَّل خلْقهُ الذي خَلَقَه, كما قال-تعالى-: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ} [السجدة:7]، وقال – تعالى-: {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ} [الإنفطار:6].

فمن نعمةِ الله- عزَّ وجلَّ- أنَّهُ سوى خلقهُ وأَحْسَنَ خلْقهُ كما جاء عن النَّبيِّ - صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بتصحيح الإمام الألباني أنَّه قال: ((كُلُّ خَلْقِ اللَّهِ حَسَنٌ))، فالله –تبارك وتعالى- هو الذي سوى خلقه وأَتَمَّ خلْقَه وأَمَرَ عباده بتدبرِ حُسْنِ ما خلَق ربَّه, حَسْن ما خلق ربُّك –عزَّ وجل-: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ} [الملك: ٥]، وأمر عباده فقال:

{فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك:3-4]، فهذا مما يَدُلُّك على عظيمِ صُنع الرب –جلَّ وعلا- ولذلك جاء في صحيح مسلم قال يا رسول الله لما سمع النبي عليه اللاة والسلام يقول: (("لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ"، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً, قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ"))، فهذا صنع الله – جل وعلا – في خلقه، ولذلك نُهي العبد أن يشابه في صنعته ما خلق الله –عز وجل- مما له روح، فقد ثبت في صحيح البخاري أن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال: ((أَنَّ اللهَ –تعالَى- يَقُولُ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً))، فلا يجوز أن يشابه العبد في تخليقه وتصويره صورة شيء مما خلقه الله –عز وجل-، بل هذا من الكبائر عند أهل العلم، وعَدُّوا التصوير من الكبائر ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً)) ولذلك لما جاء الرجل – في الصحيحين- إلى ابن عباس؛ وقد سمع ابن عباس يروي عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال –عليه الصلاة والسلام- : ((مَنْ صَوَّرَ صُورَةً كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ)) فارتعد الرجل، وقال: "يا ابن عباس إني أصور تلك الصور وأبيع منها؛ وكذا" فقال ابن عباس : ((عليك بالشجر، عليك بالحجر، وما لا روح فيه)) وكل هذا داخل في باب التوحيد، وأن يعلم العبد أن الله –جلَّ وعلا- هو المستحق لصفات الكمال في ربوبيته، وفي ألوهيته، ومن صفات الربوبية ما يتعلق –جل وعلا- من خلقه لِما خلق حيث صور، وأتم، وعدل، وأحسن كل شيء خلقه، كما قال – تعالى-: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ} [السجدة:7]، ثم قال –تعالى-: {وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ} [الأعلى:3] ونختم هذه السورة المباركة بهذه الآية في قوله –تعالى-: {وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ} فشملت هذه الجملة أمرين:

الأمر الأول: التقدير

والأمر الثاني: الهداية

أما الأمر الأول: فهو التقدير، فقد جاء كما رواه الإمام البخاري مُعلقًا في صحيح عن مجاهد، وجاء موصولًا عن مجاهد بإسناد جيد، عن مجاهد أنه قال: "{قَدَّرَ فَهَدَىٰ} قدر على الإنسان قدر له

الهداية والضلال" فالقدر أصل عند أهل السنة، لا يخالف فيه إلا ضال زائغ، فقد قال –تعالى-: { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر:49]، وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال: ((كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ أَوْ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ)) هكذا الرواية ((كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ)) فترى رجلًا ذكيًا نبيهًا، وترى رجلًا مغفلًا ضعيفًا في عقله، وفي فهمه، وفي حنكته، فالله –جل وعلا- جعل كل ذلك بقدر، ولذلك قال الشافعي حين ظهر أهل البدع النافُون للقدر قال:"ناظِرُوا القَدَرِيَّة بالعلم، فإن أقرُّوا به خُصِمُوا، وإنْ أنكروه كفروا" ومعنى ذلك أنْ يُقال لمنْكِرِ القَدَر: هل سَبَقَ أنّ الله عَلِمَ ما سيفعل خلقُه؟ فإنْ قال نعم سَبَقَ في عِلْمه ما سيفعلون، فهذا استلزامٌ لثبوت القَدَر، وإنْ قال: لا لم يَثْبُت أنّ الله يعلم ما سيفعلون، كفر؛ لأن نفي العِلم مُسْتَلزِمٌ لضِدِّه، وإثبات ضد العلم لله كفر، وهذا معنى قول الشافعي: "ناظِرُوا القَدَرِيَّة بالعِلْم،فإن أقرُّوا به خُصِمُوا،وإنْ أنكروه كفروا" وقد جاء في صحيح مسلم عن ابن عمر–رضي الله عنه–أنه قيل له: ((أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف))، ((إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم)) يعني يتتبَّعُون المسائل الشاذة الباطلة، وهكذا كل مُنْحرف عن السُّنّة لا يأتي العِلْم مِن بابه، ولا يسلُك سبيل أهل العِلْم، بل تجد أنه يميل إلى الشذوذ وإلى مخالفة العلماء، ولا يَتْبَعُ أهل العِلْم في طرائقهم في طلبه للعلم، ويستغني بجُهْدِه عن العلماء، فإذا رأيت الرجل يطلب العلم من غير بابه ولا يحرص على أنْ يستفيد من علماء زمانه من أهل السنة، فاعلم أنه مغرور أو مُنْحرِفٌ عن السبيل، قالوا: ((أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف)) الأمور مُسْتَجدَّة لم يسبِق بها قَدَر، فقال ابن عمر ووقف وكان أحدهما عن يمينه والآخر عن شِماله، قال: ((فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني))، هذا موقف صاحب السنة من أهل البدع، الصراحة والوضوح والبراءة من أقوال وأفعال أهل البدع والحَذَر منهم والتحذير منهم، وهكذا كان الصحابة–رضي الله عنهم- في أمر الدين، إذا أتى الرجل بأصلٍ فاسد وانحرف عن السنة وجب أنْ تُعْلِن بدعته وأنْ تُحَذِّر منه وأنْ تنأى عنه، فإنّ هذا من القيام بباب الواجب الشرعي والديانة ((فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني)).

وأما إذا ظهرت البدع واستعلن بها أهلُها ومال من ينتسب إلى السنة إليهم ميلًا صريحًا أو ميلًا فيه مراوغة يُدافِع عنهم يلتمس لهم الأعذا، فاعلم أنه يُبطِن سوءًا ((فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن

بالقدر))، ثم أنشأ يحدث قال: ((حدثني أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم)) وذكر حديث جبريل وفيه وأن ((تؤمن بالقدر خيره وشره)) وهذا كله داخل في قوله –تعالى-: {وَالَّذِي قَدَّرَ} [الأعلى:3] وقوله { فَهَدَىٰ} فالهداية لها معانٍ، هداية الدلالة والإرشاد، وهداية التوفيق، هداية الدلالة والإرشاد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الله تبارك وتعالى هدى كل مخلوق خلقه إلى ما يصلح له في أمره، من أكله من معيشته من ملبسه" قال شيخ الإسلام: "حتى البهائم" فتجد البهيمة تحرص على مأكلها وعلى مشربها وعلى ما يقيم حياتها، وهذا من نعمة الله –عز وجل- أن هدى ما خلق من خلقه من إنسان أو حيوان، جعل عنده من الفطرة ما تقوم به حياته، ولذلك قال نبي الله موسى وهارون لفرعون: {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ} [طه : 50] ومن ذلك قوله: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} [النحل : 68] هذا كله داخل في القسم الأول من الهداية، وهي هداية الدلالة والإرشاد، وهذه الهداية تقع للإنسان والحيوان، وتقع للكافر والمسلم، فقد قال –تعالى-: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ } [فصلت : 17] فمعنى قوله –تعالى- { فَهَدَيْنَاهُمْ } أي بيّنّا لهم الحق ودللناهم عليه بإقامة معالمه، ودللناهم على طرائقه، فهذه هداية الدلالة والإرشاد، وهذه تكون لكل مخلوق كما قال –تعالى- حاكيًا عن نبييه الكريميين { رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ} ومنه قوله: { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الشورى:52] مع قوله: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص: 56]، فالمثبت من الهداية هو هداية الإرشاد والبيان والمنفي هو هداية التوفيق، قال تعالى:{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي}هذه دلالة الإرشاد والبيان، {إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الشورى:53]، والنفي {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص: 56]، هداية التوفيق، فهداية التوفيق إنما هي لمن يستحقها من أهل التقى والإيمان، ولذلك هذه الهداية الخاصة، هي هداية الله –عزَّ وجل- للمؤمنين، كما قال تعالى: {وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً} [الحجرات:7-8]، فهذه هداية التوفيق، إنما يعطيها الله –عزَّ وجل- لمن أحبهُ ولمن اختصهُ بنعمته، كما قال تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿31﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}[الزخرف:31-32]، فقولهُ تعالى: { سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾

وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ} [الأعلى:1-3] شملت هذه الآيات، أصولاً عظيمة وفوائد جمة، وليس من مقصودي في هذه الكلمة أن أتم السورة، بقدر أن أنبه ما تيسَّر لي في بيان بعض ما جاء في هذه السورة المباركة من دلالات ومن أُصولٍ يُبنى عليها التوحيد والعقيدة السلفية، وأنصحُ إخواني وأبدأُ بنفسي بأن يعتنوا بكتاب الله —عزَّ وجل- فإنَّ العناية بكتاب الله —عزَّ وجل- تفتحُ لك أبوابًا من الخير لا تخطر على بالك قبل أن تعتني بكتاب الله —تبارك وتعالى- ومدار التوفيق هو أن يكثِر العبد سؤال ربه بأن يفتح الله عليه وأن يُبصِّرهُ وأن يُعلِّمهُ دينهُ، وأن يجعلهُ عاملاً به، وهذا لا يكون إلا إذا اشتغل بطاعتهِ لربِّه، وانشغل بما ينفعهُ عن ما لا ينفعه، ولا ينبغي لمن أراد الله والدار الآخرة أن يُضيِّع عُمره في القيل والقال، وفي المجادلات والمهاترات الباطلة، وفي تتبع العثرات والزلات، وإنما على العبد أن يتقي الله، وأن يكون متبعًا للسلف الصَّالح، وأن يجانب أهل البدعة، وأن يتقي الله بطاعته ممتثلاً أوامره، راجيًا الخير لنفسه، وعلى أهل السنة أن يتحابوا, وأن يتآلفوا، فإن دين الله —عزَّ وجل- قائمٌ على التمسك بالحق والتواصي بالصبر، والتواصي بالحق، والله — عزَّ وجل- وصف عبادهُ فقال —تعالى- واصفًا نبيهُ والمؤمنين:{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح:29]

فهذه كلمة أسأل الله أن ينفع بها من شاء من خلقه، وأن يجعلنا من دعاة السنة، والعاملين بكتاب الله على فهم سلفنا الصالح أصحاب النبي —صلَّى الله عليه وسلَّم- ومن سلك سبيلهُم، وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم للخاتمة الطيبة، والعمل الصالح، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وكنت أتمنى أن يُشاركنا كالعادة شيخنا الشيخ العنجري، أو شيخنا أحمد السبيعي، فأنا في الحقيقة أجدُ نفسي كذا من غيرهم كأني تائه، لكن هذا ما تيسَّر لي وبالله التوفيق، وصلَّى الله وسلم على محمد وآلهِ.